

أولاً صور منطبقة على جميع الأشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسمها في طين أو شمع ، وهذه مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الأوائل ، ثم تجرد من تلك المعاني الكلية إذا كانت مشتركة مع معانٍ أخرى وهي التي اشتركت بها، ثم تجرد ثانياً إن شاركها غيرها وثالثاً إلى أن ينتهي التجريد إلى المعاني البسيطة الكلية المنطبقة على جميع المعاني والأشخاص، ولا يكون منها تجريد بعد هذا ، وهي الأجناس العالية ، وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني» (ص ٥١٤).

* * *

على أن روح الاختبارية في أصولية ابن خلدون، مما صادرتنا عليه ابتداءً ، هي التي وقت صاحبها من جموح العقل المجرد، فلم يذهب هذا المنهج بصاحبه إلى حد إسقاط التصورات التجريدية على الوقائع الحادثة ، ولا إلى حد اعتماد القوالب الماقبلية في صياغة التواميس المحركة للظواهر بل إن الخط الاختباري قد حتم الاستناد إلى مبدئين منهجين: أولهما القول بأن مسيرة الأحداث ليست عشوائية ولا هي تعسفية مطلقاً ، وإنما تحكمها ضوابط داخلية تمثل منطق انتظامها في الوجود، وثانيهما التسليم بأن العقل قادر على اشتقاق قوانين الظواهر من ذات الظواهر ، وذلك بانزاعها عبر التجريد بعد المعاينة .

فكل حادث إذن معقول، أي ليس من الظواهر ما ينقض مبدأ العلة في التواجد ، فكل حدث حامل لدلالته في ذاته بمعنى